Journal of Arabic Language and Literature (JALSL) • Vol 3, Issue 4 (2024) • P: 75 - 63
https://journals.ajsrp.com/index.php/jalsl
ISSN: 2790-7317 (Online) • ISSN: 2790-7309 (Print)

Departure to ruins in pre-Islamic poetry: A study in the semiotics of emotional and existential outcome

Ms. Amal Qasem Mohammed Melhi Al-Zomor*[1], Dr. Mohd Ala Uddin Bin Othman[1], Prof. Elsayed Mohammed Salem[2]

[1] Faculty of Languages and Communication | Sultan Zain Alabideen, University | Malaysia
[2] Faculty of Arabic Language | Al-Madinah International University | Malaysia

Received: 02/09/2024
Revised: 10/09/2024
Accepted: 21/09/2024
Published: 30/09/2024

* Corresponding author: alzomoramal2023@gmail.com

Citation: Al-Zomor, A. Q., Othman, M. A. & Salem, E. M. (2024). Departure to ruins in pre-Islamic poetry: A study in the semiotics of emotional and existential outcome. *Journal of Arabic Language Sciences and Literature, 3*(4), 63 – 75. https://doi.org/10.26389/AJSRP.Q020924

2024 © AISRP • Arab Institute of Sciences & Research Publishing (AISRP), Palestine, all rights reserved.

• **Open Access**

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license

Abstract: Our research into the emotional and existential outcome is based on the underlying emotion that prompts the pre-Islamic self to leave for the ruins of the country and head there to observe it in its manifestations and changing conditions. The study aims to search for the self's sense of the outcome after a state of emotion directed towards the target subject, in forming the final state represented by The evaluative level of emotion and judgment of standing and its effects based on the principle of rooting the idea of transience and immortality, in light of the approach to the semiotics of emotions. The study concluded that the emotional outcome of the departure to the ruins has an existential dimension that began with longing as a dominant emotion that represented the initial state tending to leave to it, and it was transformed by the impact of the home state. To sadness, then despair and worries that pushed the self to leave it as a final state of standing, It has been shown that fate is an existential fate, such that the combination of the self's perceptual state and the evaluative judgment of the emotional state stopped the flow of longing as a tendency to communicate, and sadness over what was lost, especially in the stage of gray hair, revealed by the impact of the space of ruins and their fate in the self as a manifestation similar to it in loss, depletion, and absence, and like the eternity that was characterized by it. The remains of the homeland have an impact on the formation of her cognitive state of the outcome as a manifestation of her opposite.

Keywords: departure, ruins, emotional and existential, semiotics, pre-Islamic poetry.

الرحيل إلى الأطلال في الشعر الجاهلي: رؤية في سيميائية المآل العاطفي والوجودي•

أ. أمل قاسم محمد ملهي الزمر*[1]، الدكتور / محمد علاء الدين بن عثمان[1]، الأستاذ الدكتور / السيد محمد سالم[2]

[1] كلية اللغات والاتصال | جامعة السلطان زين العابدين | ماليزيا
[2] كلية اللغة العربية | جامعة المدينة العالمية | ماليزيا

المستخلص: إن بحثنا في المآل العاطفي والوجودي مستند إلى العاطفة/المرسل الأساس الذي ينزع الذات الجاهلية للرحيل إلى أطلال الديار وتوجهها إليها، لمعاينتها في تجلياتها وأحوالها المتغيرة، وتهدف الدراسة إلى البحث عن إحساس الذات بالمآل بعد حالة من الانفعال الموجه نحو الموضوع المستهدف، في تكوين الحالة النهائية المتمثلة في المستوى التقييمي للعاطفة والحكم على الوقوف ومؤثراته بمبدأ تأصيل فكرة الزوال والخلود، وذلك في ضوء منهج سيميائية العواطف، وقد انتهت الدراسة إلى أن المآل العاطفي للرحيل إلى الأطلال ذو بعد وجودي بدأ من الشوق كعاطفة مهيمنة مثلت الحالة البدئية النازعة للرحيل إليها، وقد تحولت بأثر حالة الديار إلى حزن ثم يأس وهموم دفعت الذات إلى الرحيل عنها كحالة نهائية للوقوف، وقد تبين أن المصير مآل وجودي مثل جماع الحالة الإدراكية للذات والحكم التقييمي للحالة العاطفية أوقف تدفق الشوق كنزوع للاتصال، والحزن على ما فات لا سيما في مرحلة الشيب، تكشّف بأثر فضاء الأطلال ومآلها في الذات كتجل مماثل لها في الفقد والنضوب والغياب، ومثل الخلود الذي اتسمت به بقايا الديار الأثر في تكوين حالتها الإدراكية للمآل كتجل ضدي لها.

الكلمات المفتاحية: الرحيل، الأطلال، المآل العاطفي والوجودي، سيميائية، الشعر الجاهلي.

• - هذا البحث مستل من رسالة دكتوراه بعنوان (سيميائية التكوين العاطفي لمعاني الرحيل في الشعر الجاهلي). من إعداد الباحث الأول، والشكر موصول لكل من المشرف الرئيس/ د محمد علاء الدين، والمشرف المساعد: أ.د السيد محمد سالم.

مقدمة:

يرحل الشاعر إلى الأطلال ليقف على آثار الراحلين، فيغشاها قاصدًا متأملًا كاشفًا، مشتاقًا باكيًا، وهذا ما جعلنا ندرسها ضمن تجليات الرحيل في القصيدة الجاهلية، كونها فضاء يتوسط رحيلين: رحيل في الماضي (الظعن)، ورحيل الشاعر في الحاضر بعد مرور زمن، يقف بين النظير والمآل، ثم يرحل عنه.

والرحيل إلى الأطلال حركة مادية تمتد من المدرك المرئي إلى المعنوي والذاتي العاطفي والوجودي، وانتقال من معاينة الخراب والزوال إلى ماضي الحياة والأنس، يأخذ معه تحولًا عاطفيًا بين لحظة الوقوف والانصراف، والديار كونها مقصدا لهذا الرحيل وفضاءه تتمظهر بوساطة العملية التحويلية الخاضعة لسلطة الزوال وبنية الرحيل ككل، مؤثرًا فاعلًا في الذات على مستوى حالتها النفسية والوجودية، حيث تعتريها الدهشة وينازعها سؤال المصير (كيف، لمن، هل، أمن)، فالذات تقف على ممثلاتها بعلامات تتصل بموضوعات الزوال وتؤشر إلى المصير، وتصير مؤشرا سببيا لتكوين حالتها التي تحتوي جملة من العواطف تشكل في جملتها علامة على حالتها الوجودية وسيرورتها صوب الزوال.

فالديار حالة الأشياء المرئية تؤثر في وضع الذات ورؤيتها إلى علاقتها بالوجود، حيث تمارس عليها عبر المعاينة الكشف الوجودي بحضور عاطفي يرتبط بوجودها وصراعها وحاضرها وماضيها، ومستقبلها المجهول، وارتباطها بقيميتي الحياة والفناء، وفي إطار الرؤية في النظير والتأمل في المصير/المآل، والفضاء الطللي أحد الركائز التي تمثل هوية الذات الجاهلية ومنطلق رؤيتها للحياة والموت، فهو مبتدأ وجودها ومحتوى علاقاتها وحالاتها وتحولاتها، وفضاء رؤيتها للحياة، وأمنياتها المخبوءة في الذاكرة، ففضاء الطلل ذو طبيعة مرجعية تخضع لضرورة الرحيل وبنيته، تجعله فاعلا مؤثرا في حالة الذات العاطفية والوجودية، ومن ثم يتحول إلى فضاء لإدراك مصيرها، فما المكان إلا امتداد من الذات وهما تحت سلطة الدهر.

مشكلة الدراسة:

تبحث هذه الدراسة في المآل العاطفي، وما يتبعه من حالة إدراكية تتصل بالمآل الوجودي المتأثر بحالة الأطلال، وهذه قضية مهمة لم يتلفت إليها الدارسون على الرغم من وضوحها، مقابل الدراسات الكثيرة التي عنيت بفضاء الطلل والرحلة في الصحراء، وبذلك تتمحور مشكلة الدراسة في انعدام الدراسات السيميائية حول الرحيل إلى الأطلال في الشعر الجاهلي في بعده العاطفي.

أسئلة الدراسة:

تسعى هذا الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس: هل يمكن لسيميائية العواطف بإجراءاتها ومبادئها المنهجية أن تكشف عن مظاهر تأثير فضاء الأطلال في الحالة النفسية والإدراكية للذات، والامتداد العاطفي المعبر عنه بالمآل؟

وعنه تتفرع الأسئلة الآتية:

- ما العواطف التي مثلت الحالة البدئية النازعة للرحيل إلى الأطلال، وما مآلها العاطفية وبعدها الوجودي؟
- ما أثر فضاء الأطلال في تكوين المآل العاطفي والحالة الإدراكية للذات تجاه المآل الوجودي كتجل مماثل لها؟
- ما أثر فضاء الأطلال في تكوين المآل العاطفي والحالة الإدراكية للذات تجاه المآل الوجودي كتجل ضدي لها؟

أهداف الدراسة:

- معرفة العواطف التي مثلت الحالة البدئية النازعة للرحيل إلى الأطلال، ومآلاتها العاطفية.
- دراسة أثر فضاء الأطلال في الذات في تكوين المآل العاطفي والحالة الإدراكية للمآل الوجودي كتجل مماثل لها.
- الكشف عن أثر فضاء الأطلال في الذات في تكوين المآل العاطفي والحالة الإدراكية للمآل الوجودي كتجل ضدي لها.

الدراسات السابقة:

تتوافر الكثير من الدراسات التي عالجت موضوع الطلل وما زالت، ولا تكاد تخلو دراسة منها من الإشارة إلى العاطفة أو البعد الوجودي، لكن لم تقف هذه الدراسة على دراسة واحدة واضحة المعالم تناولت الرحيل إلى الأطلال دراسة في سيميائية العواطف في جانب المآل العاطفي والوجودي.

ومن هنا تتضح أهمية هذه الدراسة لأهمية الموضوع، وأصالته البحثية، في اختبار العاطفة وأثرها في الفعل ورؤية الذات للحياة، معتمدة على منهج سيميائية العواطف لدراسة الرحيل إلى الأطلال رؤية في سيميائية المآل العاطفي والوجودي، والكشف عن التحولات العاطفية التي تنفعل بها الذات وقوفا وانصرافا، والانتقال العاطفي من الشوق كنزوع إلى الرحيل إليها وانتهاء باليأس والهموم كدافع إلى الرحيل عنها، المعبر عن التحولات العاطفية التي لا يخلو من الأبعاد الوجودية.

الإطار النظري:

أولًا - سيميائية العواطف

بدأت سيميائية العواطف في الظهور بوصفها امتدادًا للسيميائية السردية، ومنها أخذت عدتها المفاهيمية، "فالبناء النظري الخاص بسيمياء العواطف يستمد مبادئه ومفاهيمه وتصنيفاته الأساسية مما جاءت به السيميائيات السردية، إن الأمر يتعلق بتنويع على أصل، أو هو الانفتاح المتزايد على مناطق إنسانية جديدة لا تلغي النموذج النظري الأصل" (جريماس، وفونتني،15).

ولم تخضع للتقعيد وإعادة البناء إلا في العقود الأخيرة، أي ما بين (1991 - 1998) مع جريماس وفونتني، لا سيما في الكتاب الذي أسس لسيميائية العواطف/الأهواء المعنون بـ(سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس)، ويعد ثمرة جهدهما وتعاونهما معًا، وبه أصبحت سيميائية العواطف فرعًا متصلًا بسيميائية الحدث، فشكّلا معًا ما سماه جريماس وفونتني بـ(البعد السيميائي للوجود المتجانس)؛ حيث "توجد داخل السيميائية حالتان: حالة الأشياء والحالة النفسية، وتتداخل الحالتان معًا في إطار البعد السيميائي للوجود المتجانس، وهو ما يجعل العالم بوصفه حالة للأشياء يفعل ويؤثر في الحالة النفسية للذات"(الداهي،88).

وإلى جانب المبادئ والعدة المفاهيمية التي استمدتها سيميائية العواطف من السيميائية السردية؛ "ركز الباحثان على مجموعة من المفاهيم التحليلية، كالجسد، والانفعال، والكمية والامتداد، والكثافة، والإيقاع والقوة، والضغط والتوتر، والإحساس، والطاقة الشعورية، وثنائية الصالح والطالح، والانفصال والاتصال، والعالم الداخلي والخارجي، والذات والموضوع، وحالات الذات والأشياء"(حمداوي،12)، وعملا على تحديد الإجراءات والآليات التي تقود إلى تحليل العواطف والانفعالات وأثرها في الخطاب، بدراستهما لعاطفتي (البخل والغيرة)، في "محاولة الإمساك بالهويين ضمن الخطاب، ومن خلال شكل تحققاتهما، بعيدًا عن الأحكام المسبقة، وبعيدًا عن الصنافات التي لا تقدم أي شيء في مستوى بناء الدلالة، إنهما يقدمان من خلال صنيعهما هذا نموذجًا جديدًا لتناول الأهواء، وتحديد مضامينها استنادًا إلى ممكناتها في الخطاب، لا استنادًا فقط إلى ما تقوله القواميس"(جريماس، وفونتني،41)، كما "سعى المؤلفان من الناحية الابستمولوجية إلى التدليل على استقلالية البعد الانفعالي داخل النظرية السيميائية، وتقنينه تركيبيًّا ودلاليًّا، لذا قاما بتحديد تمظهراته وبنيته الجهية، وأدواره وكفايته ومساراته وأنساقه الصغرى، ومتوالياته الصغرى والكبرى، وبيّنا ما تستتبعه الأهواء من تقويم أخلاقي"(الداهي،98).

لقد أحدث ظهور سيميائية العواطف في الساحة النقدية نقلة مهمة من دراسة حالة الأشياء إلى دراسة حالة النفس، بالبحث عن الأثر العاطفي "ووصف آليات اشتغال المعنى داخل النصوص والخطابات الاستهوائية، بالتركيز على مكونين أساسيين: المكون التوتري (انعكاس العالم الطبيعي على الذات)، والمكون العاطفي أو الانفعالي أو الوجداني (منبع الأحاسيس والعاطف)، ويتولد عبرهما ما يسمى بكينونة المعنى، وخلق ما يسمى بذات الإدراك والعاطفة"(حمداوي،10)، بما لها من أثر فاعل في الحياة الاجتماعية يظهر عبر تفاعل الذات مع العالم الخارجي، ومن أجل هذا قارب السيميائيون بين العمل وحركة التحول والحالة الشعورية التي تنتاب الذات وهي تعمل، وانتقالها من الوضعية البدئية إلى الوضعية النهائية في حالة تتوزع بين الاتصال والانفصال في علاقتها بموضوع القيمة.

إن سيميائية العواطف محاولة لمعرفة كيفية إدراك الذات للعالم وتفاعلها المباشر معه بالربط بين الشعور الداخلي والعالم من حولها، ثم تحديد مقصدية الذات في تعابيرها وتوجهاتها وأفعالها وتنقلاتها، وعلاقتها بالأشياء وهي علاقة حالية تفاعلية جدلية.

ثانيًا – المآل

يعرف المآل في سيميائية العواطف أنه "مقولة مركزية،...، في تحليل الهوى لا من حيث مادته، بل من حيث امتداده المستقبلي وتشعباته، ويمكن النظر إليه باعتباره حاصل التوترات التي يأتي بها الانشطار الاستهوائي، فلا يمكن لهذا الانشطار، أن يصبح دالا إلا إذا استُوعب ضمن اتجاه، أي ضمن غاية بعينها تمسك بممكناته وتحدد تطوراتها اللاحقة التي بها يتميز هذا الهوى عن ذاك"(جريماس، وفنتني،35).

وبادئ ذي بدء يتجلى المآل بعدًا وجوديًا معاينًا ومتأثرًا بفعل الرحيل، يكوّن المآل العاطفي بوصفه نتيجة تتوزع بين التحول العاطفي والحالة الإدراكية لممثلات تؤثث الأطلال، بها تعالج الذات وضعها بوصفها نظائر متماثلة، تتمثل في الفقد والنضوب والزوال، وهي حالة تالية لحالة إدراكية بزوال قيمة القيمة عن الديار؛ إذ تنتقل الذات من تأمل مؤشرات النظير والبكاء عليه إلى تأمل ذاتها في علاقتها بالكون كعلامة للمصير، الأمر التي يمكنها من البقاء وقوفا أو يجبرها على التخطي والتجاوز، وذلك أن "الأطلال قضية موضوعها الإنسان"(طشطوش، عبد العزيز،57)، وكل ما تهدم فيها إنما ينتمي إلى الإنسان الغائب والحاضر.

الإطار الإجرائي/التطبيقي:

المبحث الأول – المآل تشكيل وتماثل:

يتجلى المآل المدرك والمحسوس في الأطلال في علاقة جدلية بين المآل الوجودي والعاطفي معاينة وتكوينًا، بوساطة الانفعال العاطفي الذي يحيل إلى البعد الوجودي للذات وفضائها لحظة انفعال وإدراك معا، فيمثل موضوع الرحيل إليها، فالمآل العاطفي له بداية نزعت الذات إلى رؤية بقايا ديار الأهل والصبا والمحبوبة، في رحلة البحث التي تكشف لها عن مصيرها عبر معاينة الديار، وهي معاينة تقوم على التشكيل والتماثل بينها وبين حالتها، كونها تقف على أثار الماضي كنظير زال، وحاضر مقفر كمآل ماثل يخلق فيها حالة إدراكية يوجهها إلى إدراك حالتها الوجودية أمام سلطة الزوال، حيث "يتصل الإنسان ببيئته اتصالا خارجيا وداخليا، ففيها يرى ذاته، وبها يتمثل جسده، وإليها يرى نهايته، إنها الجسد الكبير الذي يحوي الجسد الصغير ويشهد مراحل تطوره وتغيره ويؤثث تشكيلاته السيميائية" (الزمر، أمل،309).

إن المبتدأ العاطفي الذي ينزع الذات للرحيل إلى الأطلال يتمثل في عاطفة الشوق، وهي عاطفة سابقة على الرحيل إليها كونها تكونت في الرحيل الأول/الظعن واللحظات الأولى للغياب الذي كوّن في الذات رغبة جامحة في الاتصال والارتواء بمن رحل عنها، وتحتاج إلى البوح عن مكنوناتها العاطفة وحالتها الوجودية، الأمر الذي يدفعها إلى الأطلال التي احتوت أولى لحظات التكوين على مستوى الوجود والعلاقات والعواطف، فترحل إليها رحلة المشتاق بغية التواصل معها وإشباع حالتها العاطفية، يقول عبيد بن الأبرص(الديوان،36):

هيَّج الشوق لي معارفُ منها حين حلَّ المشيبُ دارَ الشباب

تقع الذات تحت تأثير حالة الديار، ويظهر هذا التأثير في هياج الشوق فائضًا عاطفيًّا يشي بحالة الاضطراب والثوران العاطفي بعد حالة من الارتخاء، وذلك لمعاينة المعارف التي بعثته وأثارته بعد سكون، في حالة من المماثلة التشكيلية الوجودية للديار والذات معا، الدالة على الفقد والفراق والوحشة والعجز، فبدا الجسد مماثلا للديار بحلول الشيب دار الشباب في تجل أيقوني يجمعه بالديار بجامع النضوب والفقد والرحيل عنه، ومن ثم العزلة والغربة، فيتحول من معاينة الأطلال إلى معينة الجسد ومآله الوجودي بأثر الشيب، "فرحيل الشباب غياب لخصوبة والحيوية والجمالية، فيتوافق مع الأهل الذين غادروا المكان لجدبه وارتحلوا إلى مكان آخر يتوافر فيه الخصب، ويتوافق المشيب مع الطلل في الإحالة إلى أثر فعل الزمن من خلال علاماته التي يتركها على المكان والجسد معا"(الزمر، أمل،311)، والشيب يعبث في الجسد كما يعبث الزمن في الديار.

ولذا تشهد الذات تصاعدًا توتريًّا من جهة الشوق إلى ماضي الديار بأهلها بوصفها علامة على الفراق والخواء، فضلا عن الوجود الصيغي المعبر عنه بالشيب حيث العجز والاقتراب من الفناء، وهو وجود عدم كفاءة في الاتصال، كما أن حالة الديار تشي ببعدها الوجودي الذي يخلق أفقًا توتريًّا ينبعث من رؤيتها في حالة دثار ونضوب.

ولا يتوقف الامتداد الطللي في الإحالة إلى البعد الوجودي كمآل مصيري، وإنما يشارك الذات في حالتها العاطفية والوصلية، يظهر في تفاعله مع مشاعرها في حالة من التماثل بينهما في الفقد والعزلة، ولذا كثيرا ما كان يعرج الشاعر ليحييها ويسلم عليها، يقول ابن مقبل العامري(الديوان،319):

عرجتُ فيها أحييها وأسألها فكدن يبكينني شوقًا ويبكينا

السؤال والتحية تفعيل للبعد الوجودي للديار وهويتها المتصلة بماضي الذات، وهي ترى وجودها من خلال الموجودات، فتحيل عبر فعل التقارب (كاد) إلى المشاركة الوجدانية بينهما، فالفقد والخراب والوحشة مبعث البكاء، وهو بكاء وجودي بتأثير غياب النظير، وتحولها إلى الوحدة والغربة والعزلة، والبعد الوجودي للديار هو ما يكشف ذات الشاعر عاطفيا ووجوديا، لذا تناديها وتكاد تبكي معها في مرحلة إعادة الخلق المستمرة حال وقوفها للتأمل والكشف، في حالة من الاتصال مبنية على جملة التحولات والمحاولات في البحث والبعث معا، وليس من أجل إفراغ عواطفها فحسب.

تمثل مرحلة الشباب حالة فعل وقدرة على الاتصال بالموضوع أو التعويض، تصرف الذات عن اليأس كمآل عاطفي للشوق، لكن ثمة معارضين يعترضان الذات في سعيها لموضوعها: يكمن الأول في حالة الديار وقد غاب أهلها وامحت آثارهم وتغيرت بعد حجج مضت فصارت خلاء، فتبدو الذات بعد التعرف والتأمل في الديار في حالة حزن يقطع امتداد الشوق في التأمل وتغييب الحاضر بالرحيل إلى الماضي، فيتحولا إلى يأس وهموم يصرفاها عن الديار كمآل عاطفي له بعد وجودي يتصل بالفناء.

فيتعارض الشوق كونه رغبة تدفع إلى الرحيل إلى أطلال الديار مع اليأس كرغبة تدفع للرحيل عنها، كونها فضاء فصل يتبعه فعل الانصراف، يقول أبو الطمحان القيني(الجبوري، يحيى،212-213):

ولما رأيتُ الشوقَ مني سفاهة وأنّ بكائي عن سبيلي شاغلي

صرفتُ وكان اليأسُ مني خليقة إذا ما عرفتُ الصَّرم من غير واصل

أما المعارض الآخر فيتمثل في الشيب وهو حالة عدم كفاءة في الاتصال بالموضوع، فتقيم الذات بينها وبين أطلال الديار علاقة تشكيل وتماثل بجامع الغياب والنضوب، الأمر الذي يكشف عن أبعاد المآل العاطفي المتصل بالمآل الوجودي، حيث يمثل الوقوف بداية اندماج سيميائي بين الذات والطلل، من خلال التماثل الذي يعقده الشاعر بين ماضيهما وحاضرهما، وسط أحداث خلفها الرحيل الأول بدأت في الماضي وتحققت آثارها في هذا الخراب، حيث يقول عبيد بن الأبرص(الديوان،105):

أمِن منزلٍ عافٍ ومن رسم أطلال بكيتَ؟ وهل يبكي من الشوق أمثالي
ديارهم إذ همْ جميعٌ فأصبحت بسابِس إلا الوحش دِمنها البلد الخالي
قليلا بها الأصواتُ إلا عَوازِفا عِرارا زِمارا من غياهيب آجال
فإن تكُ غبراء الخُبَيْبَة أصبحتْ خلَتْ منهم واستبدلتْ غير أبدال
بما قد أرى الحيَّ الجميع بغبطة بها والليالي لا تدومُ على حال

حالة المنازل مرسل مؤثر بدورها الفاعلي والحضوري المنظور، ترسل صورًا عبر مآلها من المحو والخواء (عاف، رسم، بسابس، خلت) تصل الذات بمآلها بأن لا شيء يدوم (والليالي لا تدوم على حال)، فتمثل النظير بمحمولها الدلالي المجاور للإنسان (هم جميع، الحي الجميع بغبطة) حيث كانت ديار عامرة، ثم صارت رسم أطلال قفرة في صيرورة بدت بحالة تبدل الوحش بالأهل والخواء بالجميع، وتظل علاقتها بالذات علاقة عاطفية حية نابضة وإن طمست معالمها، فالإحساس بالنظير يأتي بعد الغياب وحالة التغير والتبدل وقد رحل الإنسان وغاب صوته وضجيجه الحي، فخلت منه وامتلأت بالحيوانات المصوتة.

يقف الشاعر على منزل امحا وكلاهما في حالة انفصال عن الأهل (ديار إذ هم الجميع)، ويمثل الاقفرار والنضوب المآل كصيرورة لفعل الرحيل، يكوّن حالة إدراك منبثقة عن التأمل في زوال النظير، وعدم القدرة على الاتصال به لخواء الديار ووحشتها (فأصبحت بسابس، واستبدلت غير أبدال)، حيث يحمل (البلد الخالي) نظائر مماثلة لنظائر الذات الواقفة، كونه تجليا مرئيًّا أيقونيًّا، وبعدًا وجوديًّا للذات حال وقوفها يُعين على اكتشاف ذاتها بإدراك حالة التغير والتبدل، الأمر الذي يثير السؤال كمصير يزيح الشوق كحالة اتصال غير متحققة؛ لتجلهما المآلي (الشيب والخواء)، كأن معاينة الطلل صدمة وعي في حال الشيب بانتهاء الحيوية بعد رحيل الأهل.

وبالوقوف بحالة المشيب تصبح أطلال الديار الموضع الذي تنطفئ فيه عاطفة الشوق؛ لتحول الدور العاملي واختلافه من الشباب إلى الشيب، من حيث القدرة وإمكانات الإنجاز وعدم القدرة، فتختفي لحظة الوهج العاطفي عند مرحلة التحريك لعدم وجود كفاءة، كما يغيب تأثير العاطفة كأهلية؛ إذ حاضر الديار (منزل عاف، رسم أطلال) يماثل حاضر الذات الواقفة، وتشكيلها في الذاكرة بتوافر عناصر الحياة من الأهل والربع والمحبوبة هي نظائر تمثل ماضيها الذي زال بزوالها، وهنا يتضاءل دور الجسد في تفعيل الشوق كحالة اتصال لعدم أهليته في الاتصال بالموضوع المرغوب فيه.

والمثل (أمثالي) يجمع الذات بالأشياء كحالة وجودية ووضعية تدخلها في دائرة الديار الدوارس بعد غياب الأهل، كمآل يعبر عن اكتشاف الذات لوضعها والإقرار بحالتها نضوبًا، وهذا الاكتشاف أزاحها ودفعها إلى التحول من متكلم إلى مخاطبح لإحساسها بالحسرة والعجز عن التغيير أو الاتصال، والاستفهام (وهل يبكي من الشوق أمثالي) يقيّم الحالة ويدل على أنّ من كان في مثله ووضعيته لا يشتاق، كونه علامة على النضوب وعدم القدرة مرتهنًا بسلطة الزوال، فيمثل الاستفهام (وهل يبكي) الوعي العاطفي بعد إدراك التماثل الحاصل بين ذات الشاعر والديار في الفقد والنضوب، وهي وضعية مزعزعة للذات أفضت بها إلى الاستنكار، بعدم جدوى الشوق أو البكاء، والاستنكار مؤشر يرتبط بالشيب لعلاقة السببية؛ لعدم القدرة على الإحياء سواء على سبيل الذكرى (يشتاق) أو الواقع بإعادة الحياة إلى الديار الدوارس.

وهكذا يتماثل الجسد حال الشيب مع أطلال الديار، بجامع النضوب والنزوح والهدم والفقد، فكما أن الجدب في المكان يؤدي إلى رحيل أهله، كذلك عجز الجسد ونضوب حيويته يؤدي إلى رحيل الآخر/المرأة وبعدها عنه، إذ إن "أيقنة الجسد بالأطلال في مرحلة المشيب قد شكلها وقوفُه عليها مرتبطًا بها؛ ومن ثم يتحرك مؤولها نحو البيئة الجاهلية البدوية التي تقوم على الرحيل والتنقل من مكان نفدت خصوبته إلى مكان أكثر خصبا، فتصبح عاملا مهمًّا في تشكيل الشيب علامة على انهدام الجسد بفعل الزمن، ومؤولا بطبيعتها التي صارت جزءًا من تشكيل الجسد في علاقته بالزمن علامة سيميائية"(الزمر، أمل، 313).

ويظهر أثر الشيب في نفي الشوق كحالة اتصال، كونه عدم قدرة وعلامة على اقترابه من الزوال؛ لتنتقل الذات من الحالة الانفعالية إلى الحالة الإدراكية كأثر لتفاعلها مع الديار تفاعل مماثلة، ومن تأملها في ماضيها إلى تأملها في صيرورتها المعاينة، منفعلة بها انفعالًا موشحًا بالتقييم والحكم على وضعية الذات ومبتغاها.

فالفضاء الطللي يمثل حالة وجودية في تماثله بحالة الشاعر/الشيب، في اقترانهما بحالة النضوب وموضوعات الفقد، ويمثل وظيفة للكشف عن المصير بصفته القبلية وهي الاحتواء، ثم تحولها إلى نفي بفعل الغياب، فضلا عن أن الشيب نضوب من العناصر التي

تفعّل الخصوبة في المرأة، فترحل عنهما معا، ولذا يزجر الشاعر نفسه وقد وصل حد التماهي مع موضوعات الأطلال وحيدا بجسد مهدم، يقول الأعشى(الديوان،195):

عرفت اليوم من تيا مُقاما بجو أو عرفت لها خياما
فهاجت شوق محزون طروب فأسبل دمعه فيها سجاما
ويوم الخرج من قرماء هاجت صباك حمامة تدعو حماما
وهل يشتاق مثلك من رسوم عفت الأياصر والثماما

تقف الذات منفعلة بعاطفة الشوق والحزن، متأثرة بحالة الديار (هاجت شوق محزون طروب)، أما الشوق فحالة قارة في الذات، وفي حال يقين الذات بعدم الاتصال بموضوع الشوق، يتحول إلى حزن وهو انفعال توتري يتمظهر بالبكاء ناتج عن معاينة الأطلال، وخلوها من المحبوبة (تيا)، فتبكي فيها الفقد والنضوب، وهو مشهد متكرر كلما عاينت مؤشرا لماضيها، ثم إن الشوق عاطفة اتصال، والحزن واليأس عاطفة انفصال، ومن ثم يأتي نفي الشوق كون الشيب حالة انتهاء وخبرة حياتية تمثل تقييما عاطفيا لعدم القدرة واستحالة الاتصال، بعد أن تعاين الذات وضعيتها كحالة نضوب وشيب، فتقم علاقة تماثل بين حالتها شيبا وامحاء الديار كمآل للنضوب والغياب، الوضع الذي يزيح عنها الأمل بالبعث من جديد، بعد أن حددت معطيات النضوب والفقد بما يماثلها عبر الطلل والحمامة الفاقدة فيحيلا إليها شبيًا وفقدًا وانكسارًا، إذ "الزمن يفعل فعله على الأصعدة كافة: المكانية والبشرية و...، فإذا كان قد حول الأرض من مرحلة الحياة إلى مرحلة الجدب واليباب، فهو يحول الجسد الإنساني من مرحلة الحيوية والشباب إلى مرحلة الكهولة والعجز، ومن ثم فإن هذا الشيب لم يحل فجأة، هو مرحلة تراكمية لبداية النهاية، والخروج من فترة القوة إلى فترة الضعف على الصعيد الجسدي"(أبو ديب،كمال، 339).

ففي حالة الاضطراب العاطفي (هاجت شوق محزون) أمام حقل من المرئي والتفاعل مع الآخر/المرأة، يتحدد المعيار القيمي للشوق في بعده الوجودي (وهل يشتاق مثلك) في إطار النفي، تعبيرا عن عمق إحساسها بالفناء، فالشوق يحمل الأمل في اللقاء، ونفي الشوق ينطوي على إحساسها بالعجز؛ لتحولها هي أيضا إلى رسوم وزوال، فالجمع بين الطرب والحزن فوضى عاطفية مأتاها الأمل واليأس المتصلان بالشوق الذي قد يسوقها إلى لقاء، لكن تماثل الجسد مع الرسوم، يفاقم أزمتها العاطفية ومن ثم قهرها عن المضي؛ فتنعدم إرادتها التي تصله بموضوعها ولو على سبيل الشوق، فالذات مستلبة القدرة والآخر معا، فيمثل السؤال إحساسها بالعجز أمام سلطة الزوال، ووقوفها بجسد فقد القدرة على التأثير والاتصال أو التغيير؛ لذهاب الشباب والآخر الذي تتقوى به وتأنس فيه، عله يقف بالضد الإحساس بالفناء، ومن ثم ينطوي البكاء على إحساسها بالفناء، ويدفعها إلى الإقرار به.

ويعبر المآل العاطفي أن للذات نظائر دلالية وكونية تتغير بتغير الفضاء المجاور، لا سيما حين يذهب الشباب فتصبح الذات صورة أخرى للفضاء الطللي بعد حلول الشيب ورحيل الشباب وتوديع الصبا، يقول النابغة(الديوان،115):

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطل

فمعارف المنازل كيفية للتحول والتغيير، تمثل نظائر لحالة الذات في الماضي والحاضر، وملفوظ الحالة/الاتصال (دعاك الهوى) تقيمه ذات الشاعر بدافع عاطفي؛ لتتصل الذات بموضوعات منفصلة عن القيمة بفاعلية الزوال (قد غير البلى معارفها)، والقيمة هي هوية الذات التي تصلها بالمنازل، وحين زالت صارت بمقام المجهول بالنسبة إليها (استجهلتك المنازل)، فتقابلها بالإعراض واللامبالاة، فالذات تكتسب وجودها في فضاء الطلل من علاقتها بالموضوع المستهدف، والمنازل بوصفها فضاء الرحيل إما حاملة لمماثلات هذا الموضوع أو فاقدة له أو مؤشرة إليه، أما القيمة فكامنة في وعيها؛ إذ تمثل جماع علاقتها بها متصلة أو منفصلة.

فالمطر الغزير (الساريات الهواطل) محا أثر نظائر المنازل وغير معارفها، كما محا شمولُ الشيب مظاهرَ الشباب وصار حربًا على حيوية الذات وعلاقتها، فتنتقل من محور الاستجهال إلى تأمل المآل عبر حالتها (الشيب شامل)، ومن ثم توديع الصبا واستنكاره لرحيل الشباب وفقد الفاعلية الجسدية، فيتماثل الفضاء المكاني مع حالة الجسد في موضوع الهدم وفقد القدرة، وهي مماثلة عبرت عنها بالاستجهال والعجز عن إجابة الدعوة للتصابي لنضوب الجسد.

والسؤال (وكيف تصابي المرء والشيب شامل) يمثل التعرّف إلى حالة الذات أمام مشهد الفقد والهدم وعدم القدرة، ما يولد هدوءًا عاطفيًّا يسكن هيجان الشوق ولوعة الحب، في حالة من الإقصاء؛ فإن دعاها الهوى فالجسد لا يستجيب لنضوبه، كما أن الديار لا تجيب داعيًّا أو ترد على سائل بعد نضوب واقفرار، فتخفف من وطأة الفقد وتؤكد يقينية المصير، فيتحول الشوق من فائض عاطفي إلى مآل متمثل باليأس، فـ"البلى المستشري بالجسد والديار معا مؤشر مجاور للهموم والكدر واليأس المحاصِر للذات التي تعيش أزمة الشيب والغياب والانقطاع عن المحبوبة؛ إذ تنطفئ صورة الحياة لغياب الشباب الذي يُفعلها، وهذا البلى هو الذي صاغ السؤال الذي يدل على حالة قائمة؛ لأن التصابي قرين الشباب، والشيب قرين النضوب والعزلة والزوال"(الزمر، أمل، 308).

وهكذا يكشف المآل عن التماثل بين الفضاء الطللي والذات والواقفة عليه، حيث إن معاينة مآل الديار بعد رحيل أهلها وربطها بحالة الذات تصبح قيمة مستهدفة لموضوع أراد الشاعر أن يتصل به بوساطة هذا الوقوف، والرغبة التي تتحول إلى معرفة تكشف عن أبعاد وجودية تتمظهر بحالة الديار والحالة الوجودية للشاعر، وكأنه يأخذ سمته الوجودي من صور الهدم والعزلة في المكان، فيأتيه مشتاقًا ويرحل باكيًا مهمومًا.

فالوقوف على ربع الدار وقوف على حالة الجسد وقد غادره الشباب وفقد موضوعاته، فهما مفعولان لفاعل واحد (البلى)؛ وقد فقدا مقوماتهما، ومن ثم للوقوف جانبه الإيجابي في أنه يحمي حساسية الذات من الاقتراب من الانهيار بوصفه نظائر لحاضرها، فضلا عن عامل الذكرى الذي تمتلكه الذات كعامل حماية بالضد من شمولية فاعلية سلطة الزوال.

وبما أن بقايا الدار تمثل مؤشرا يحيل إلى موضوعات النظير، ففضاؤها لا يرتبط بالبعد المادي من مسافة؛ طول عرض ارتفاع/تكوين مادي، وإنما يتجلى تكوينًا معنويًا عاطفيًا، وتلك المرئيات الموصوفة تحمل قيمة الموضوع التي زالت، وتصبح محفزة للعاطفة والعودة إلى الذات كحالة وجودية أمام الزوال، إن الديار نظائر لمآل الذات بفاعلية الزمن، هكذا كانت رؤية الجاهلي للطلل، فهو متصل به وجوديًا، ولهذا يؤثر الوقوف تأثيرًا كبيرًا في تكوينه العاطفي ونظرته للمصير؛ لأنه فاقد للأهلية التي تعيد حيوية الماضي، وعامل فصل عن موضوع مرغوب فيه كان يمتلك كل النظائر المعنوية التي تتصل بكيانه الوجودي والعاطفي.

فالموضوع القيمي لأطلال الديار بوصفها فضاء مرئيًا يقف عليه في اللحظة، هو الكشف عبر التأمل في التحول والتغيير والتبدل وفاعلية سلطة الزوال، كونها سيرورة نحو المصير، ولا بد من فهم علاقة الشاعر به وإدراك تداخلهما في بناء يتشكل من جدلية الداخل/النفسي والخارج/الوجود، كوجود متجانس، في الكشف عن كيفية اشتغال الطلل في حالة الذات، وعلاقته بتحولاتها بوصفه دافعًا للرحيل أيضا، فالشاعر مشتت بين اتجاهات يقودها المكان وهو يشتغل ضمن تلك الجدلية، ما بين الاتجاه صوب الماضي لبناء فضاء العالم الممكن أو الاتجاه المضاد الذي يتحقق بالرحيل.

والرحيل إلى رسوم الديار من أجل التأمل في المصير يحوّل تأثير معاينة الدمار في الديار من الدهشة والشوق إلى الإقرار واليأس كحالة نهائية تقييمية للشوق والبكاء، يقول عبيد بن الأبرص(الديوان،92):

أمن رسوم نؤيها ناحل ومن ديار دمعك الهامل
أجالت الريح بها ذيلها عاما وجون مسبل هاطل
ظِلتُ به كأنني شارب صهباء مما عتقت بابل
بل ما بكاء الشيخ في دمنة وقد علاه الوَضح الشامل
أقوت من اللائي همُ أهلها فما بها إذ ظعنوا آمل

يبدأ البوح بحالة عاطفية محضة تجاه رسوم الديار وغياب الأهل، فيمثل التساؤل عن حالة الذات المقترنة بحالة الديار إقرارًا بحالة العفاء التي تشملهما معا، ودهشتها تتصل بسلطة الزوال المتمثلة بالغياب الذي فعَّل الرياح والمطر ومكنهما من الهدم، كفاعلية الزمن بالجسد وقد علاه الشيب، إذ تستوعب بخلوها (أقوت) القوة التدميرية التي خلفها الرحيل، ما يعزز في الذات الضعف والغربة والضياع ومن ثم اليأس (فما بها آمل) المعبر عن استسلامها للفناء بفعل الاستلاب الواقع عليهما معا، فالوقوف يمثل رثاء الذات في فضاء الخراب وهيمنة سلطة الزوال، و"إذا كان الطلل رمزا للفناء متحقق في الخارج، فالمشيب طلل متحقق في الداخل، داخل الإنسان"(زيدان، عبد القادر،189).

واستنكار بكاء الشيخ حالة تالية تقييمية إدراكية، تقطع أسباب تواصله بالديار لخوائها من الأهل ونضوبه من الحيوية، فتناهض أمله في الإحياء، فالبكاء ربما يقف بالضد من العفاء والجدب، ومن فاعلية السيل المدمر، فيرتكن إليه في إحياء الديار القاحلة في صراعها من أجل البقاء، لكن حالة العجز المعبر عنه بالشيب يمثل أيضا عامل استلاب يتعاضد مع العوامل الخارجية التي أحالت المكان إلى قفر، فتضعف قدرات الذات، وهنا تنتفي فاعلية البكاء على الإرواء والإحياء؛ لينتهي إلى لحظة اليأس وفيها تستقر حالته العاطفية، عند إدراكه الحالة النهائية بأن المآل الوجودي إلى زوال.

والمماثلة بين تجليات الديار والذات في حال الشيب انفتاح على التفاعل الإدراكي في بعده الوجودي، ما يؤثر في توجهها العاطفي من الشوق والحزن كاتصال بالماضي بعد الفقد وفوات الموضوع القيمي/النظير للديار قبل الرحيل، إلى اليأس كحالة نهائية تقييمية للانفعال العاطفي والتجلي الوجودي.

وذلك يدل على أن الطلل فضاء نفسي يعتمد في تكوين بنيته الدالة المؤثرة على الانتقال من المعاينة البصرية إلى التأمل الذهني/الذاكرة والإدراكي؛ لذا هو مشهد وشاهد على أثر الرحيل، كونه أنموذجا للزوال، و"الاتجاه الزمني نحو الموت"(إكستنر، جوزيف، 24)، فيمثل مؤشرا سببيا لضرورة التحول والانطلاق السريع.

والتأمل في المصير عبر معاينة الأطلال حالة إدراك بعد تأمل وكشف ثم تقييم، يقول الأعشى(الديوان،3):

فما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي فهل ترد سؤالي

دمنة قفرة تعاورها الصيـ ـف بريحين من صبا وشمال

يتجاوز بكاء الكبير بالأطلال من رحلوا إلى بكاء الذات لنضوبها (الكبير)، حيث يمثل نفي بكاء الكبير بالأطلال واستنكار السؤال إدراك الذات أنها أصبحت مهيأة للشعور بالإحساس بالفناء، فهي ذات غائبة بالنسبة إلى الموضوع المستهدف؛ إذ يعبر استنكار السؤال وتوقع عدم الرد عن الانتقال من وضعية الحضور إلى الغياب بالتحول من القوة والحيوية إلى الضعف والذبول، ومن ثم السيرورة نحو الفناء باعتبار شيخوخة الجسد وقفر المكان وامحائه، ومن ثم عدم البكاء حالة من التسليم لسلطة الزوال كسلطة كونية، وفقد الإرادة في النهوض بالضد من فاعليتها بالمكان، فتتجلى علاقة الذات بالأطلال في إطار التشكيل بسيرورة الزمن (تعاورها الصيف)، والتماثل في الصيرورة (كبير/أطلال، دمنة قفرة)، ومن ثم يقرن التأثر بالتقييم الذي يفضي إلى عدم البكاء أمام الفناء، والشيب على الرغم من أنه علامة على نضوب الجسد واقتراب الموت، فإنه من جهة أخرى يمثل فاعلية كمال الوعي الإنساني بالذات وما حولها، وهو مأتى استنكار السؤال (فهل ترد سؤالي)، حيث يستعير من فكرة الاقفرار والعجز عن الرد معنى عدم القدرة على الحصول على الموضوع، فبكاء الذات غير مجد، والديار المقفرة لن ترد على السؤال، كونهما يمثلان عدم كفاءة، فضلا عن التعبير عن اليأس كمآل عاطفي للشوق.

واختيار الأطلال للبكاء كونه صيرورة لمآل وجودي مماثل يكشف عن المصير، ثم إن استغراب بكاء الكبير يدل على أن البكاء أثر عاطفي لانفصال الشوق عن موضوعه، ولذا ينبغي ألا يبكي لنضوبه الذي يعبر عن ضموره العاطفي في تحقيق التواصل، فلمن يشتاق وهو غير مؤهل للاتصال به، ولذا ينفي حالة البكاء لفقد الكفاءة وعدم القدرة على الإنجاز، ما حوّل المآل العاطفي للشوق إلى حزن ويأس، والنفي لا يعني أنه لم يبك، وإنما يزجر ذاته عن البكاء كأثر لانقطاع الشوق عن موضوعاته انقطاع تامًا، لذا يستنكر الكبير الشوق أو الحزن في مرحلة تأمل المآل وإدراك المصير واستشراف حتمية الموت، ويقينية ذهاب الماضي بحيويته.

فالكيفية التي وقف عليها الشاعر واختارها موضوعا للبوح عن عواطفه وحالته الوجودية، مؤثر وجودي يشكل كيفية انفعالية يضعها موضوع التساؤل الوجودي (وكيف يطرب أو يشتاق أمثالي؟) كون الشوق والبكاء يخلقان بوادر الاتصال بالماضي؛ لتنتشل الذات من الواقع إلى الحلم/الذكرى، وهو نوع من الرفض الذي يبدأ بالرحيل إلى الماضي عبر الذاكرة، ثم ينتهي بالرحيل الواقعي بوساطة الناقة.

تدرك الذات أن البكاء لا يُنهض الماضي أو يعيد مفقودا، وإنما يعد تجليًا لتصاعد توتري يؤثر فيها ولا يصلها بموضوعها، وبوصولها إلى هذا الإدراك تتغير حالتها الانفعالية والعاطفية، فيطرأ عليها تحول على مستوى الفعل والعاطفة معا، يبدأ بمواجهة عوارضها والتحول إلى التحدي من خلال الانصراف/التخطي، حيث يقول عمرو بن قميئة(الديوان، 70-73):

أمِنْ طلل قفْر ومن منزلٍ عاف عَفَتْه رياحٌ من مَشات وأصياف

...

بكيتَ وأنت اليوم شيخ مُجَرّب على رأسه شرخان من لون أصْناف

سؤال الذات لمَ البكاء في الطلل هو سؤال الماهية والوجود، يتماهى بحالة اليأس أمام عناصر الموت وسلطة الزوال، إنها تعيد سؤال وعي الذات بوساطة رؤية الموجودات وترقب صيرورتها التي تدلها عليه، في لحظة صمت تضج باليأس والشعور بالقهر.

فالذات الباكية ذات توترية أمام الزوال، حاملة ممكنات الاتصال في الديار في الذاكرة، لكن موضوعها القيمي كتحقق في الواقع لم يعد مواتيا، فالبكاء يحدد الممارسة العاطفية لحالة الإدراك الوجودي؛ لذا يعجب كيف يبكي الشيخ المجرب ذو الخبرة، فخطاب الذات للذات (بكيت وأنت اليوم شيخ) يمثل حالة التقييم الذاتي للحالة العاطفية أمام حالة نهائية تقربه من الفناء وتدعوه إلى التخلي عن البكاء.

كما تكشف حالة الإقصاء واللامبالاة تجاه الذات عن قلق المصير الذي ينزعها كوعي للحالة إلى استنكار البكاء وقد غاب الجميع، فأولى بها أن تبكي ذاتها وهي على حافة الموت، وفي هذه الحال يحدث نقلة على مستوى كفاءة الذات حال المشيب، فالبكاء بدلالته المباشرة على الحزن والعزاء، أو رمزيته (السقيا) لم يعد يجدى ليتفاعل مع المكان لعدمية إمكانية تحقق موضوع القيمة، لزوال الشباب والقوة التي تربطه بمحيطه على سبيل الإرادة والقدرة.

وذلك يدل على أن حالة الذات الواقفة على الأطلال خاضعة للوجود الصيغي الذي يتحكم في علاقتها بالموضوع وصلا أو فصلا، فالشيب طلل الجسد عجز ونضوب وانفصال، وما تعيشه الذات وتحسه أمام حالة الديار والوقوف على موضوعاتها، وما تبوح به من عواطف وما تحسه من توتر إزاء محيطها، يتصل بكفاءتها ورؤيتها لحالة الأشياء، والشيب على الرغم من أنه حالة إدراكية متقدمة تجاه المصير، يبرز في الطلل ناضحا بالعاطفة المسكونة بالمأساة والفقد، ولذا ظلت الذات مسكونة بهاجس الرحيل إلى الأطلال بوصفها عنصرًا مماثلًا لها في عزلتها وامحائها وغياب موضوعاتها، فنضوب حيوية الرجل يدفع المرأة إلى الرحيل عنه، فيتحول إلى قفر تماما كنضوب المكان وجدبه أيضا بسبب رحيل القوم عنه، فيتحول المكان إلى ممثل للحال ومؤشر إلى المصير، "وعلى هذا الأساس يعتبر المآل انتقالا من حالة إلى أخرى، أو هو سلسلة من تغيّرات الحالة، ..، وهذا معناه أن المآل مدرج في كل مظاهر الوجود"(جريماس، وفنتني35).

وبذلك نجد أن اقتران الغياب بالنضوب في الأطلال كوّن فائضا عاطفيا مكوناه اليأس والهموم؛ كمآل عاطفي للشوق مرتبط بهاجس المصير وقلق الوجود، بفعل فقد عناصر الاستقرار (الألفة والأنس والاستقرار)، والتقدم في العمر، ولذا يرتبط تماثل الشيب مع الطلل بحالة التقييم العاطفي بيقينية المصير.

فالأطلال فضاء وجودي واسع يمتد من التكوين البدئي إلى المصير النهائي، ونهوضه فضاء دالًا على الرحيل جعله الفضاء الأمثل لتأمل مصير الإنسان عبر التحول والتغير/المآل الوجودي، يقول لبيد(الديوان،111):

وما الناسُ إلا كالديار وأهلها بها يوم حَلُّوها وغَدوا بلاقع

تحول الديار من الامتلاء إلى الخواء والمحو والتبدل والتغير بفاعلية الرحيل وسلطة الزوال، جعلها الفضاء الأمثل أمام الشاعر الجاهلي المسكون بقلق الوجود، فالمماثلة في الحالة الوجودية والعلائقية بين الناس والديار تقوم على ثنائية الامتلاء والخواء ومن ثم الحياة والموت، فيتوسط المآل بين الحالة البدئية والحالة النهائية التي تماثل صيرورة الإنسان بالديار المقفرة (الناس كالديار)، والمآل انتقال من الحضور والحياة إلى الغياب والفناء عبر سلسلة من التغيرات التي بدأت بهيمنة سلطة الزوال التي دفعت الأهل إلى الرحيل، وتهدم الديار لغيابهم حتى صارت قفارا/بلاقع، ومثلها الناس (بها يوم حلوها وغدوا بلاقع).

ويتجلى أيضا فضاء مهيمنًا في الوعي الجاهلي للتعبير عن المصير، والصيرورة فعلًا وسببًا ونتيجة، فغياب الأهل فاعل الاقفرار في الديار والذات على السواء، كونهم أساس بناء الحياة والمنعة والنصرة والحماية، ولذا تغدو الأطلال العلامة الماثلة في وعيها في لحظة غربة وأمام تهديدات الموت، تحيل إلى قسوة الآخر في فضاء الغربة بعيدا عن الأهل، يقول عبيد بن الأبرص لحظة أراد المنذر بن ماء السماء قتله(الديوان،132):

أقفر من أهله عبيدُ فليس يُبدي ولا يُعيد
عَنتْ له عنَّةٌ نكُود وحان منها له ورود

يستدعي الشاعر صورة الديار وحالها بعد رحيل أهلها وتحولها إلى قفر تتعاورها سلطة الزوال، في التعبير عن وقوعه تحت سلطة المنذر بن ماء السماء ممثل سلطة الموت دون نصير، فبُعد الشاعر عن قومه أحاله إلى أطلال مقفرا من العون والسند والحامي، مقيدًا ومرهونًا للزوال، ومن هنا استثمر من أطلال الديار موضوع الاقفرار ورحيل أهلها، ووقوعها تحت سلطة الزوال التي تحيلها إلى الفناء، فالذي يقفر من أهله يصبح ضعيفًا مكسورًا، والاقفرار علامة على غربته ووحشته وضعفه بعيدا عن أهله، ومن ثم ضياعه وانهزامه تحت سلطة الزوال في حالة استسلام (فليس يبدي ولا يعيد)، وهذا يدل على أن الذات الجاهلية تأخذ من بيئتها كامل وعيها بالحياة والموت، القوة والضعف، فالمكان المقفر علامة على هشاشة الإنسان وضياعه بغياب قومه وفي حال مشيبه.

ومما سبق؛ يتبين أن الشاعر يرحل إلى الطلل مدفوعًا بالشوق، وتأمل بقايا موضوعات يأمل في الاتصال بها مستقبلا، فيبوح ويبكي ثم ينصرف، وقد ينفي الشوق لعجزه عن التفاعل مع الأشياء تفاعلًا إيجابيًا، فيتجلى بوعي آخر يتصل بمرحلة الشيب، في إطار الاستفهام الانكاري (وكيف يشتاق، وهل يشتاق مثلك، والتعجب/بكيت وأنت شيخ) لحظة وعي ناتجة عن التماهي في الفضاء المماثل تماهيًا وجوديًا لحالة نهائية (الفناء)، فيتجلى الشوق يأسًا على محور الحالة النهائية (الشيب) علامة على الزوال كحالة وجودية تتصل بالمصير، بعد أن كان في محور الحالة البدئية المنتجة، معبرا عن الرغبة في الامتداد إلى المستقبل وتحقق موضوعه المرغوب.

والذات الواقفة على الأطلال هي ذات البحث والتأمل والكشف، وعلاقتها بها علاقة تشكيل وتماثل وتأثر، بجامع غياب النظير وتجليات المآل والمصير، لا سيما في حال المشيب، وكأنها في رحلة وجودية تجسد وعيها بالموجودات من حولها، ومحاولة تفسير مآلات الوجود ومجهوليته، لذا تحاول أن تعي ما حدث للمكان بسؤله واستنطاقه وندائه وتحيته.

المبحث الثاني – المآل الضدي:

يتصل المآل الضدي كسيرورة عاطفية وبعد وجودي بثنائية الفناء والخلود، فإذا كان المصير ممثلًا للحالة النهائية للفعل والحالة والتحولات يحيل إلى الفناء في فضاء وجودي مماثل، فإنه يحيل إلى الخلود في فضاء ضدي لوجود الذات، والإحساس بالمصير حالة وعي قبل أن تكون حالة عاطفية ناتجة أو قابلة للزوال، والوقوف أمام مشاهد الرحيل حالة وعي للمآل أمام مؤشرات النظير التي شملها العفاء بفعل الغياب؛ ووعي الذات بالمصير لا يخرج عن موضوع الفناء والخلود، وهو ما يؤرقها، ويؤثر في توجهاتها وانفعالاتها.

والفضاء الطللي مكوّن من مفعول مكاني وفاعل زمني، مقترن بثنائية الحضور والغياب والزوال والخلود، ولأنه يحمل ممثلات تحيل إلى النظير الغائب المفقود، وتمثل المآل المعاين، يعد عنصرًا فاعلًا في التكوين العاطفي للذات حال الوقوف عليه والدخول في تحولاته بانعكاس حالاته في الذات من خلال ما يتركه فيها من أثر نفسي ووجودي، بأبعاده ودلالته، وهو فضاء يتميز بحدوده الزمنية التي تشكل ملامحه وتطمس هويته لتحولها إلى هوية زمنية (خوالد/لا خوالد).

وتعد الأطلال فضاء الكشف الوجودي للمصير؛ كونها تجليا لعلاقة ضدية تجمع بين الزوال والخلود، ومعلما للتأمل في المصير الإنساني الجماعي والفردي، ومن ثم تعد الكيفية المرئية الأمثل لتكوين الحالة الإدراكية للذات تجاه الوجود كحالة نهائية مؤثرة في الحالة العاطفية.

ولا غرو أن فاعل الزوال في الوعي الجاهلي يتمثل في الدهر والقوى الطبيعية، ولذا تعد الديار مبعثًا للتأمل في المصير الإنساني والعلاقي، والمآل في الديار زوالًا أو خلودًا هو إحساس بالتغيير والعفاء، حتى لا يكاد يتعرّف المرء على ديار كان يسكنها، وهو مبعث الاستغراب وباعث سؤال الهوية في قول زهير بن أبي سلمى(الديوان، 76):

لمنِ الديار بقُنَّة الحجر أقوينَ من حِجَج ومن دهر
لعبَ الرياحُ بها وغيّرها بعدي سوافِي المُور والقَطْر

يقف الشاعر على الديار الدارسة وقد تغيرت ملامحها وتهدمت لغياب الإنسان، وحين يسأل عن هوية المكان (لمن الديار) لا يعبر عن المجهولية؛ وإنما عن زوال الملكية بعد أن غادرها أهلها، في حالة استنكار أمام فاعلية سلطة الزوال (حجج/الدهر) التي أتت عليها بالإمحاء والتغيير حتى صارت خاوية غير آهلة، فضلا عن أن السؤال تعبير عن حالته العاطفية إزاء التغيير، فيحيل إلى الذات السائلة وهويتها في علاقتها بالديار وقد لعب الزمان بها وسكنتها الوحشة، وهو مدخل للتعرف عن المصير عبر ملامح المكان وتحولاته تحت سلطة الزوال؛ ليكشف عن أثر الرحيل ليس في المكان فحسب وإنما فيهما معا.

ومع ذلك فإن بقايا الديار تتسم بالخلود بينما كل من حلّها يزول ويفنى، ويعد الخلود من علامات المآل الضدي بين وجود الذات ووجود الديار، يقول لبيد (الديوان، 268):

خلدت ولم يخلد بها من حلها وتبدلت خيطا من الأحدان

...

فصددتُ عن أطلالِهن بجَسرةٍ عَيرانَةٍ كالعَقْر ذي البُنيان

خلدت الديار بعد رحيل أهلها وتبدلت النعام بهم؛ ولم تعد بذات الأهلية التي تمكّن الإقامة، وقد صارت مشهدًا للشتات الاجتماعي والإنساني، وعلى الرغم من خلودها إلا إنها تتسم بالوحشة والعزلة فضلا عن أنها فضاء الزوال، تجليات أثرت في فعل الانصراف ككيفية تمثلت في الصد (فصددت عنها) المعبر عن عنف الانصراف، والصد إعراض ومنع لفاعليتها في الذات كونها تجذبها إليها عبر فاعلية التغير والزوال، بينما تعرض عنها بخاصية الخلود/المكون الوجودي الضدي لوجودها، فهي علامة كاشفة لهشاشة الإنسان ومآله (لم يخلد بها من حلها)، فحين الإقبال يقوم الشوق مقام الفعل بدفع الذات إلى الرحيل، وحين تجد صورتها في الديار تصد عنها وتنكرها في مقام النضوب، فتخلق مسارًا آخر يناهض الاستسلام، كآخر مراحل لتجليات النضوب بمآلها العاطفي/اليأس الذي يقوم مقام الكفاءة عبر القدرة على الرحيل.

كل صور الرحيل إلى الأطلال إما مدرجة ضمن مآل يقترن بالمصير أو نظير يتصل بمن رحل وبما تبدل وتغير وصلًا أو فصلًا، وفقا لثنائية (البقاء/الفناء) تخلق حالة من الجدل الذي يقترن بسؤال المصير (لمن)، فيعمل على خلق روابط بين التصاعد التوتري وانخفاضه، والمآل من خلال مصير النظير وضدية فضاء يجمع بين الضدين (الزوال والخلود)، حيث يتحول "المآل إلى سلسلة من الانفصالات والاتصالات المتقطعة" (جريماس، وفونتني،90).

فالشاعر يقف على بقايا الديار بحالة الانفصال عن الماضي حيث الأنس والشباب والأهل والمرأة، رغبة في معرفة ذاته؛ ليرى مصيره (المآل) من خلال الوجود من حوله، ولا سيما الأطلال الفضاء الذي احتوى وجوده الاجتماعي والعاطفي والبطولي، ثم تهدم وصار محتوى للموت؛ ولذا يصب انفعالاته في هذا المقطع أكثر من غيره، كاشفا عن سيرورة التحول والتغير والتبدل نحو الفناء.

فالوقوف على الديار وقوف على مؤشرات النظير، وتجليات المآل، وهنا يبكي أمام الاندثار المكاني والغياب الإنساني بفعل الرحيل وفاعلية صروف الزمان، حيث يقول عبيد بن الأبرص (الديوان، 120-121):

لمن الديار ببرقة الروحان درست وغيرها صروف الزمان
فوقفت فيها ناقتي لسؤالها فصرفت والعينان تبتدران
سجما كأن شُنانة رجبية سبقت إلي بمائها العينان
أيام قومي خير قوم سُوقة لمعصب ولبائس ولعاني
فخَلدتُ بعدهم ولستُ بخالد فالدهر ذو غير وذو ألوان

إن البكاء خاتمة الوقوف والمآل العاطفي للشوق أمام الغياب/المصير، في تحوله إلى حزن ثم يأس يصرف الذات عن الديار (فصرفت والعينان تبتدران)، وامحاؤها وتغيرها (درست وغيرها) بعد زوال (أيام قومي) تَمثل أمامها علامة على مصيرها وإن بقت زمنًا بعد زوالهم (فخلدت بعدهم ولست بخالد)، فالزمن هو ذاته (فالدهر ذو غير وذو ألوان) الذي أزال قومها عن الدار ومحا أثرهم.

وتنصرف الذات في حالة بكاء كمآل عاطفي متأثر بحالة الديار وزوال أهلها، فالوقوف للسؤال يدل على الحيرة والغربة والقلق بتواتر عاطفي تصاعد حد البكاء باعتباره المآل العاطفي للشوق، فالانصراف بحالة عاطفية هي نتيجة مجمل الوقوف وتأثيرات الفضاء في الذات.

فالمكان خالد والإنسان مكوّن زمني زائل يخضع لقانون التغير (فخلدتُ ولست بخالد)، لأنه ينتمي للماضي، حيث يقيم مقابلة بين أثر سلطة الزوال (صروف الزمان) بفاعليتها (درست وغيرها) كعلامة على المآل، وزوال موضوع القيمة (أيام قومي) المرتبط بالديار بقيم المجد والخير والكرم والخصب؛ ليقيم دوافع التأمل في المآل حيث تبرز أشكال التحول على مستوى الزمان والمكان في صيرورة الحياة ونضوبها، وصيرورة الذات المماثلة من جانب التغيير/الشيب لصيرورة الديار بالإمحاء بعد غياب الأهل وبقائه بعدهم.

وبالدخول في الديار/الفضاء الممكن تعالج الذات وضعها لتبرر حالتها العاطفية، باعتبار حالة المكان وفاعلية الغياب الذي يقف وراء الفائض العاطفي المهيمن على حالتها، فالبكاء التجلي العلامي للفقد ومعاينة المآل والكشف عن المصير، والممثل التوتري للشوق، فالفراق/الغياب مثّل تداخلًا بين حالة الأشياء وحالة الذات، ولذا ارتبط هاجس الزوال بعاطفة الحزن؛ لأن كل ما حولها ينفلت من بين يديها حتى ذاتها، حيث تتحول صيرورة الديار إلى موضوع مستهدف يسوق الذات إلى موضوع نهائي متمثل بالإدراك بثنائية الخلود والزوال.

السؤال عن الملكية المكونة لهوية الديار (لمن الديار) يضمر سؤال المصير بعد غياب الحي، لمن ظلت باقية وقد رحل أهلها، لمَ الخلود في فضاء التحول والزوال، ولمَ لم تكن الإقامة من ممكنات الحياة؟ والرهان الحقيقي لتحقيق موضوعات القيمة التي تهدف من وراء الوقوف الظفر بها، في تجليها الذي يزيح عنها قلق المصير وصيرورة المآل؛ لذا حين أوقنت - وهي تقيّم موضوعات القيمة (ممكنات الحياة) في المكان وفي ذاته معا - أنها وجودًا ضديًّا لبقايا الديار الخالدة، كونها هدفا لفاعلية الدهر، تمنت لو كانت صخرة بصلابة تصد عوامل التعرية، وحين لم يمكنها ذلك سعت إلى تشييد القيمة الأخلاقية/الكرم كموضوع قيمي أعلا تنجز بها قيمة القيمة وهي خلود الذكر.

فالوعي بالمصير مسكون بهاجس الزوال والقلق والفزع، فالهموم كخاتمة للوقوف تتصل بالقلق الذي يعيشه الشاعر إزاء الغياب ورؤية علامات الزوال، وهو قلق وجودي يعبر عنه امرؤ القيس بقوله(الديوان،27):

ألا عم صباحا أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي

وهل يعمنْ إلا سعيد مخلد قليل الهموم ما يبيت بأوجال

يعود التردد بين النداء والاستفهام المتكرر أمام معالم الطلل البالي إلى القلق الوجودي المتصل بفكرة المصير (مخلد)، وعدم إمكانات البقاء، فالنداء بعث للحياة بالضد من البلى، والاستفهام تأكيد سلطة الزوال التي تصد النداء من الانتشار، كونه ذاتا مآلها الزوال، وقد بدا تأثرها العاطفي هموما يكشف ضمور شعورها بفكرة الخلود، كون الإحساس به علامة على القلق الوجودي، وهذا التردد بين الانفتاح على المكان والانغلاق على موضوعاته التي تتصل برد التحية، يعكس توتر الذات المنصهرة في فضاء الطلل بين رفض البلى والإقرار به، ومواجهة الضياع ورفض الامتداد، فتدعو للطلل بالنعيم والسلامة كونه بقايا ماثلة ضد الزوال، بينما من كان بعيدا عن أهله كيف ينعم ويخلد، وقد صار مبيتا للهموم والأحزان.

ينتقل الشاعر من علامات الهدم والفناء إلى البحث عن الخلود، وإزاحة فكرة الفناء عن المكان يشي بالرفض كصورة من صور المواجهة، "والشاعر لم يلجأ إلى ذلك إلا ليبرز أن المكان جزء لا يتجزأ من ذاته ووجوده ومصيره"(ربابعة، موسى،18)، ليس هربا وإنما رفضا لمعالم الموت وهيمنتها.

فالمكان خالد أمام زوال الإنسان في تكويناته الوجودية والاجتماعية، ولذا يرحل الشاعر دائما إلى أرض الأحبة ليكشف عن حالها وحاله معا بعد الرحيل، يقول بشر بن أبي خازم (الديوان،97):

كأن خوالدا في الدار سُفْعا بعرْصَتِها حَمَامات وُقُوع

الخوالد هي الأثافي وهي عبارة عن حجار ثلاثة يوقد عليها ويوضع عليها القدر فتسنده للطبخ، الوظيفة التي تمثلها حالة حضور الأهل والقوم، فهي وسيلة، أما في الأطلال فتؤدي وظيفة وجودية تحيل إلى أن ثمة حياة كانت عامرة في الديار، فتعد المعالم الباقية منهم تحمل مؤشرات تحيل إلى الوجود الإنساني الذي كان يسكن في الديار، و(خوالد) كينونتها في فضاء الطلل دالة على مقاومتها بالضد من عوامل الزوال، كأنها محمية بالسواد (سفعا) لاقترنها بالنار من أجل الحياة، وإن اقترنت بمظاهر التغيير والتبدل والعفاء في فضاء كان حيويا آهلا بالإنسان.

فالمكان/الدار باق مخلد، بينما الذات جسديًّا ونفسيًّا معرضة للتحول والزوال، تشعر بالخواء من كل شيء إلا من الذكريات؛ تماما كالديار حين غادرها أهلها وعرت من مؤهلات الحياة، يقول لبيد(الديوان،204-205):

فوقفتُ أسألها وكيف سؤالنا صُمًّا خوالدَ ما يُبِينُ كلامُها

عَرِيتْ وكان بها الجميع فأبْكَروا منها وغُودِر نُؤيُها وثُمامها

تختلف وجودية الديار عن وجود الذات في موضوع الخلود كونه مآلا، بينما يتفقان في الحال بزوال النظير عنهما جميعا؛ كأثر الرحيل فيهما متمثلا بالعراء والغياب الاجتماعي، فالديار عريت من الوجود الحضاري، فيما سيعرى الشاعر من الحياة، والفعل (عريت) يحيل إلى حالتها بخلوها من الجميع بعد أن غادروها بما فيها من عوامل الحماية (النؤي والثمام) التي لم تعد قادرة على جذبهم للبقاء.

ويحيل الفعل (كان) إلى حالة التحول من ماضي الإقامة إلى حاضر الغياب، ما بين امتلائها بالجمع وخلوها منهم (فأبكروا وغودر)، وفعل (عريت) يجمع بين الجميع/الأهل والثياب لتمثيل حال الديار في صورة أيقونية للزينة والجمال والستر والحياة بتجدد اللباس، وعري المكان منهم يظهرها علامة أيقونية تعكس حالة التحول إلى الخواء من معاني اللباس الدال على الحياة، و(كان) يحيل إلى كينونتها في زمن عامر بالجميع مكسو بموضوعاتهم من حيوية وبهجة ودفء وجمال، فعريت برحيلهم ما عرضها للتغير والهدم والمحو حتى ظهرت عوراتها.

هذا التماثل يخلقه انفعال الشاعر وشعوره بالغربة والفقد، بفاعلية الرحيل، كأنه يعيد تشكيل ذاته ليقف عليها بما يماثلها/الأطلال الديار من هدم وعزلة ووحشة وغربة، فالمكان امتداد منه وله، تمتد معالمه إلى حالته النفسية تنتزعها وتخرجها من كمونها لتنهمر دموعا تشي بالشوق والانكسار، وخواء الديار وعراؤها وصمتها إنما يمثل امتدادا وجوديا وعلاماتيا للشاعر في رحلته لسؤال المصير؛ ولذا يأتي الانصراف كحالة إدراكية يقينية به.

إن الوصول إلى إدراك المآل والإقرار به كحالة نهائية عبر معاينة الأطلال وقيمها الدلالية وأبعادها الوجودية، ضرورة وجودية لإخراج الذات من دائرة السؤال والقلق الوجودي وشمولية الإخفاق وانهيارها أمام الفقد والتحول، واستنهاض بها ولها بواجب تقبل الحياة والمضي قدما، حيث يتجلى المآل النهائي للحالة البدئية للوقوف، كما في قول النابغة(الديوان،16):

فعدِّ عما ترى إذ لا ارتجاعَ له وانم القُتُود على عَيرانة أُجُد

فالمعاينة كشف، وما تراه الذات هو تجليات المآل ومؤشرات المصير بزوال ماض لا ارتجاع له، فتتنقل من حالة الانغماس بعلامات الفناء إلى الفعل (فعد) بتجاوزها الذي جاء في صورة التحدي (وانم القتود)، كأن الذات ما زالت مؤمنة بالحياة إلى آخر لحظة؛ لذا تنفصل عن معالم الزوال وإن وجدت فيها ملامح الخلود.

والانصراف يدل على أن فضاء الشوق صار فضاء معاديا ومؤثرا بحالة العفاء والزوال والثواء لا الخلود، ومنه أدركت الذات الجاهلية ضرورة الحركة والتحول، وإن كانت مشروطة بالهلاك والمخاطر والمجهول، في سعي نحو الوصول لا الضياع، والحركة مجال للتحقق بالتحدي، بامتلاك الإرادة التي تصلها بهدفها والوسيلة التي تساعدها في بلوغ مرادها.

حيث تستمد من خلود بقايا الديار صورة التحدي في التخطي والتجاوز، بعد لحظة من الصراع بين علامية الفضائين التي تعتمل موضوعاتها في ذاكرتها ومعاينتها في الكشف والتأمل، وهي تقف على التحولات الدائمة التي تسيطر على الإنسان والمكان معا، فالرحيل إلى الطلل والوقوف عليه مركز مرجعي يقع ضمن دائرة أكبر تتحرك في إطار التحول والفقد.

ويبدو أن العناصر الخالدة في الأطلال تعمل في وعي الذات وحكمها التقييمي على محورين: أنها دليل على فناء الإنسان، وكونها مساعدا على الشعور بالمواجهة ومقاومة الزمن بامتلاك الحركة - وإن تغلب الزوال على شعورها فكوّن الأسى والهموم والقلق - تمدها بقايا المكان بالإصرار على البقاء والشعور بالتحدي المعلن حال التحول والانصراف.

خاتمة:

إن الشوق انفعال وعاطفة ذات اتجاه زمني من الحاضر إلى الماضي ثم إلى المستقبل رغبة في الاتصال، وباقترانها كأثر للرحيل ونضوب الذات والمكان معا، تنطفئ كفاعلية في الاتصال لاستحالة عودة الماضي، وشمول المشيب كونه عدم كفاءة في الاتصال، فيتحول موضوعها إلى الكشف عن المصير كبعد وجودي للذات الواقفة والطلل في علاقة تشكيل وتماثل من جهة الدمار تحت سلطة الزوال كأثر للرحيل، وعلاقة ضدية من جهة أخرى تبرز فيها بقايا الديار خالدة تكشف عن هشاشة الذات ومصيرها إلى الزوال.

وقد توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

إن المآل العاطفي للرحيل إلى الأطلال يبدأ من الشوق كعاطفة مهيمنة، مثلت الحالة البدئية النازعة للرحيل إليها، وقد تحولت بأثر حالة الديار إلى حزن ثم يأس وهموم لها أثر في تكوين الحالة النهائية المتمثلة في الرحيل عنها.

إن المآل العاطفي ذو بعد وجودي للمصير يتصل بثنائية الحياة والموت كأثر لفعل الرحيل وغياب الإنسان وهيمنة سلطة الزوال، مثل جماع الحالة الإدراكية للذات والحكم التقييمي للحالة العاطفية أوقف تدفق الشوق كنزوع للاتصال مع عدم قدرة، والحزن على ما فات لا سيما في مرحلة الشيب، فاتسم بإنكار العاطفة كانفعال مجاوراته خاضعة لسلطة الزوال، ولا تفعّل موضوع الصلة، تكشّف بأثر فضاء الأطلال ومآلها كتجل مماثل لها في الدمار والنضوب والغياب، ومثل الخلود الذي اتسمت به بقايا الديار الأثر في تكوين حالتها الإدراكية للمآل كتجل ضدي لها.

إن التقييم العاطفي كصيرورة للمآل العاطفي حالة وعي أمام التحولات نقلت الذات من شبه ذات تبحث عن النظير بمسائلة الديار والتعرف إلى مآلها، إلى ذات إدراكية تحقق التوازن العاطفي كيقين وجودي بتحولات الحياة.

إن غياب الموضوع القيمي للديار كنظير رحل وزال عنها، يجعل من التأمل في المآل والحكم التقييمي للعاطفة الموضوع المتصل به، الذي ينقل الشاعر إلى مرحلة الإنجاز بالانصراف.

وجملة القول: إن تجلي المآل حالة نهائية تستوعب الحالات والتحولات في فضاء الطلل (تغيرت، تبدلت، أصبحت، أوحشت، أقفرت، أقوت، أضحت) عبر سلسلة من الانفعالات والمآلات العاطفية (شوق، اكتئاب، حزن، يأس، هموم) والانتقال من حالة الغمر العاطفي واللاتوازن الواعي إلى حالة الوعي والإدراك، ومن تجليات المأساة الوجودية إلى تفعيل قدرات الذات في إكمال مسيرتها بالحياة بعد اليقين بالزوال؛ بالانتقال من الحالة/الوقوف إلى الفعل/الرحيل والانصراف.

التوصيات:

- دراسة عاطفة الشوق في علاقتها بالنظير السيميائي للديار بعد رحيل القوم وغياب موضوعاتها.
- دراسة التشكيل السيميائي للأطلال في علاقتها المماثلة للذات دراسة سيميائية تأويلية، وربطها بتكوين الحكم التقييمي الداعي للانصراف.

المصادر والمراجع:

- أبو ديب، كمال .(1986)، الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ابن مقبل. (1962). الديوان، تح: عزة حسن، دمشق.
- ابن منظور، (د ت)، لسان العرب، دار صادر.
- الأعشى الكبير(1950). الديوان، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجمامير.
- إكستنر، جوزيف. (2003). شعرية الفضاء الروائي، تر: لحسن حمامة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء/بيروت.
- امرؤ القيس، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط5)، دار المعارف، القاهرة.
- بن الأبرص، عبيد. (1994). الديوان، شرح: أحمد عدرة، (ط1) دار الكتاب العربي، بيوت.
- بن أبي خازم، بشر. (1994). الديوان، قدم له وشرحه: مجيد طراد، (ط1)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- بن أبي سلمى، زهير. (2008). شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تح: فخر الدين قباوة، (ط3)، هارون الرشيد للتوزيع، دمشق.
- بن جندل، سلامة، ديوانه .(1987). الديوان، (ط2)، تح: فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- بن ربيعة، لبيد. (1992). الديوان، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي، (ط1)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- بن قميئة، عمرو، (1965). الديوان، تح: حسن كامل صيرفي، معهد المخطوطات العربية.
- حمداوي، جميل .(2016). سميوطيقا الأهواء في الرواية السعودية، (رواية الإرهابي 20) لعبد الله ثابت أنموذجا. ط1.
- الجبوري، يحيى. (1988). قصائد جاهلية نادرة، (ط2)، مؤسسة الرسالة.
- جريماس، وفونتني، (2010)، سيميائيات الأهواء، من حالات الأشياء إلى حالات النفس، تر: سعيد بنكراد، (ط1)، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- الداهي، محمد، (2009)، سيميائية السرد، بحث في الوجود السيميائي المتجانس، (ط1). رؤية للطبع والتوزيع. القاهرة.
- الذبياني، النابغة، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط2)، دار المعارف، القاهرة.
- ربابعة، موسى. (2011). تشكيل الخطاب الشعري، دراسات في الشعر الجاهلي، (ط1)، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن.
- الزمر، أمل .(2021). سيميائية الجسد في الشعر الجاهلي، (ط1)، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة.
- زيدان، عبد القادر عبد الحميد، التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية.
- طشطوش، عبد العزيز .(1986). الزمان في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، الأردن.